19

من نوادر أشعب

أشعب ضيفًا ثقيلاً

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافى سيد
إشراف : ا. حمدى مصطفى

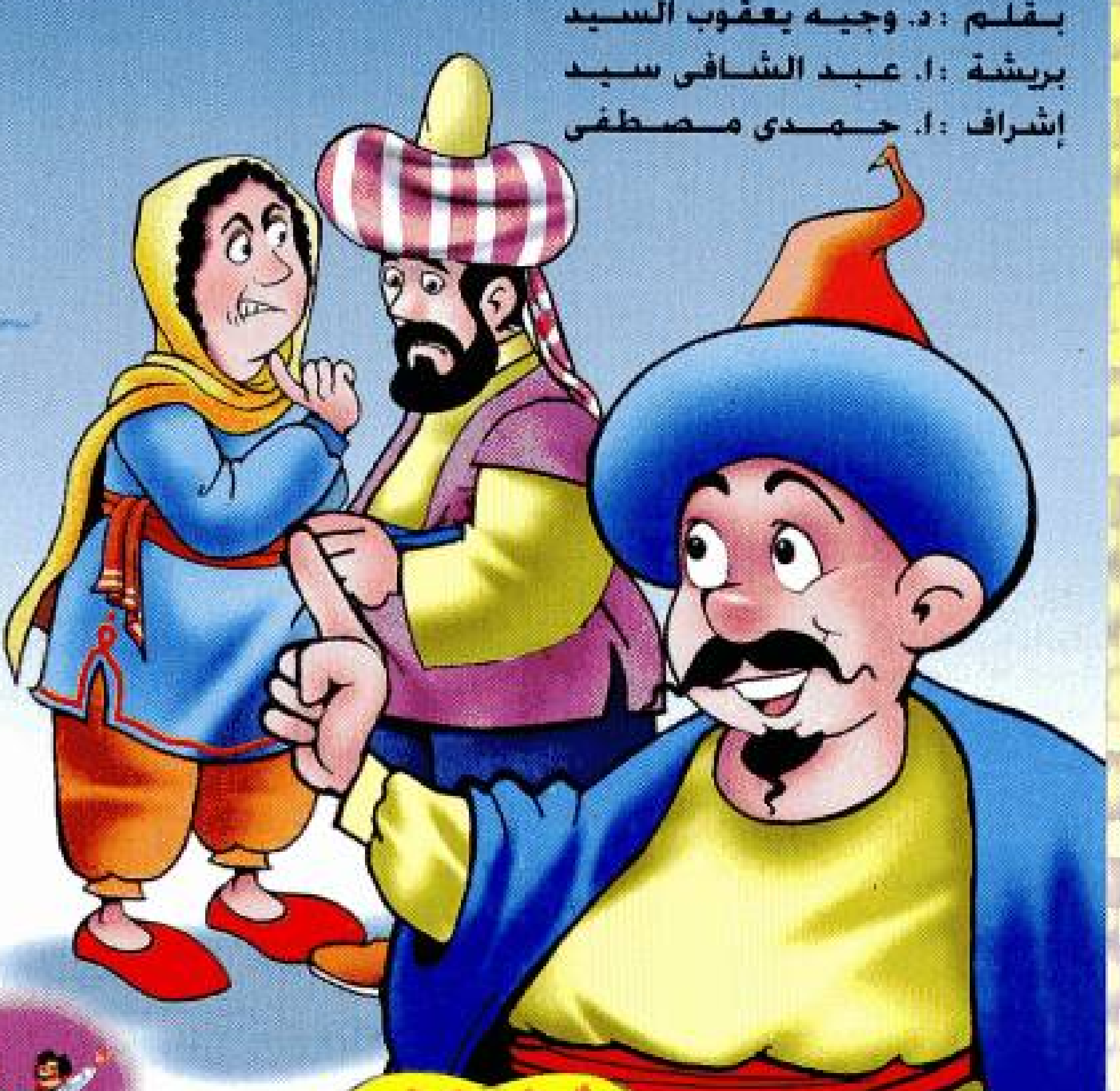

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
[illegible]

من نوادر أشعب

أشْعَبُ الطَّماع

شَخْصيَّةٌ حقيقيَّةٌ ، اشْتهرتْ بالنَّهم
والشَّراهةِ فى الأكْلِ ، يعْتبرُه البعْضُ أميرَ الطُّفيْليِّين بلا
مُنَازِع ، حيثُ يتسلَّلُ إلى كلِّ مائدةٍ أو احتفالٍ أو عُرْسٍ فيه
طعامٌ ، دون أن يدْعُوه أحدٌ أو ينْتظرَ دعْوةً من أحدٍ .
وعلى الرَّغْمِ من كُلِّ هذا ، فقدْ كان أشْعبُ شخْصيَّةً مَرِحةً
محْبوبةً ، تتَّسِمُ كلُّ مواقِفِه بالفُكاهةِ والضَّحِكِ ،
بسببِ ظرفِه وخفَّةِ روحِه ومواقِفِه
الطَّرِيفَةِ !

أشْعَبُ ضيفاً ثقيلاً

بقلم : ا. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافى سيد
إشراف : ا. حمدى مصطفى

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

فى فَتْرةٍ منَ الْفَتراتِ اشتَغلَ أشْعبُ بالتِّجارةِ ، وتخَلّى مُؤقَّتا عنِ التَّطفُّلِ والسَّعْيِ وراءَ الْموائِدِ . وفى أَثْناءِ ذلكَ تعرَّفَ رَجُلاً طيِّبا منْ مدينةٍ مُجاورةٍ .

كانَ هذا الرجُلُ لا يعْرِفُ أَشْعَبَ على حَقيقَتِه ، فاسْتظْرَفَ حَديثَهُ واسْتحَبَّ مُجالَسَتَهُ ، وأَخَذَ يدْعُو أشْعَبَ يوما بعْدَ يوْمٍ للْغَداءِ معَهُ .

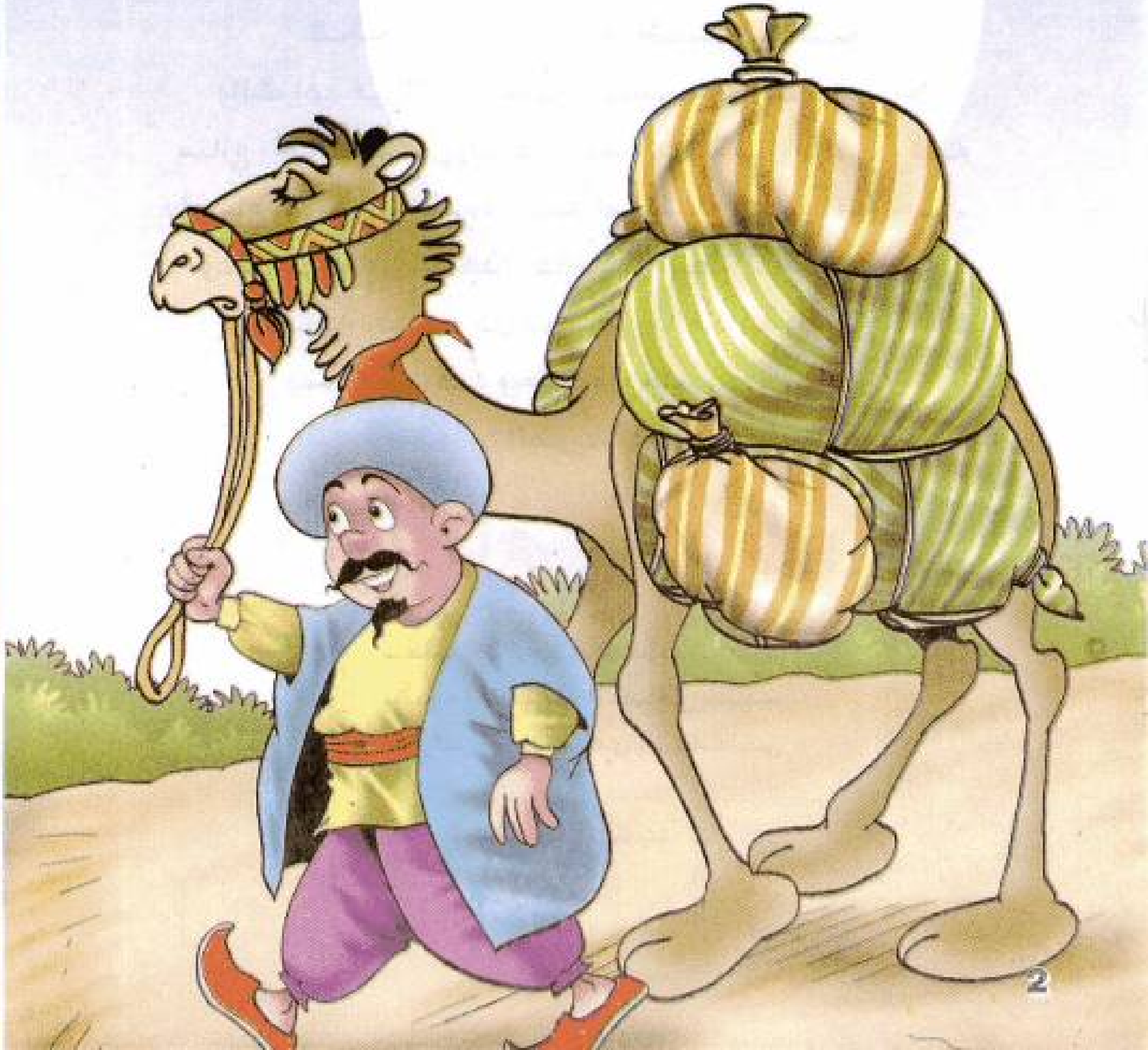

وعِنْدَما توثَّقَت الصِّلَةُ بيْنَ أَشْعَبَ والرجُلِ ، أَرادَ الرجُلُ إِكْرامَهُ ، فدعَاهُ للإِقامَةِ معَهُ فى بيْتِه بِشكْلٍ دائمٍ ، طُوالَ المُدَّةِ التى يَبْقَاها بَعيدًا عَنْ بلَدِه .

تظاهَرَ أَشْعَبُ بالرَّفضِ أَوَّلَ الأَمْرِ ، لكِنَّ إِلْحاحَ الرجلِ عليْهِ جعَلَهُ يُغَيِّرُ رأْيَه، ويقْبَلُ الإِقَامَةَ معَه ، بشَرط أَلا يكونَ فى إِقامَتِه ما يُضَايِقُهُ أَوْ يَتَسَبَّبُ لهُ فى إِحراجٍ مع أَهْلِ بيْتِه .

أَكَّدَ الرجلُ لأشْعَبَ ترْحِيبَهُ وسَعادَتَهُ باسْتِضافَتِهِ ، وقالَ بطِيبِ خاطِرٍ :

ثِقْ أَنَّنا لنْ نَتَضايَقَ من إقامَتِكَ مَهْما طالَتْ ، فأَنْتَ رجُلٌ خفيفُ الظِّلِّ لمْ أَلْمَسْ مِنكَ سوَى كَرَمِ السَّجايا مُنْذُ عرَفْتُكَ .

لكنَّ أَشْعَبَ كتَمَ ضحكَةً كادتْ تفْلتُ منْهُ ، وقالَ فى نفْسِه :

ـ مَا دامَتْ هذهِ رَغْبَتَهُ ، فلَنْ أَحْرِمَهُ منْها ، ولكنَّ ذَنْبَهُ على جَنْبِهِ .

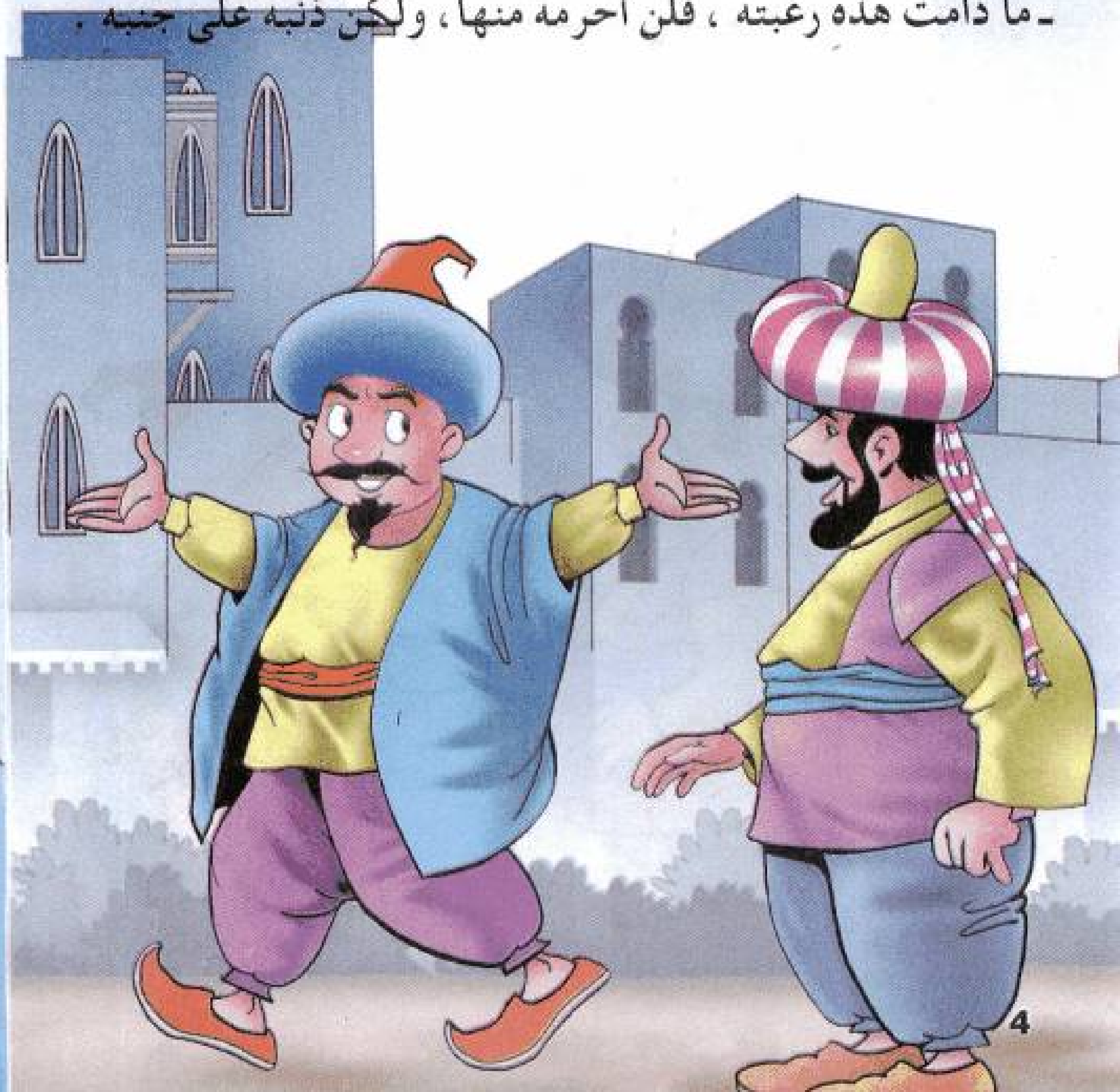

مكثَ أَشْعبُ معَ الرجلِ مدةً طويلةً تزيدُ على الشَّهْرِ ، فى الْبدايةِ كانَ الرَّجلُ سَعيداً بهذا الضَّيْفِ الخَفيفِ ، لكنْ ما إنْ مرَّ يومٌ واحدٌ عاشَرَ فيه الرجُلُ أَشْعبَ بعد ذلك ، حتى أَدْرَكَ حَقيقَتَهُ ، وأيْقَنَ أَنَّ هذا الضَّيْفَ الخَفيفَ أَثْقَلُ من جِبالِ الْهُمُومِ الَّتى رَكِبَتْهُ .

ظَهرَ أَشْعَبُ للرَّجلِ على حقيقَتِه ، فإنَّ الطَّبْعَ يغْلبُ التَّطبُّعَ ، واكْتشَفَ الرجلُ أنَّ أَشْعَبَ لا هَمَّ له سوى السُّؤالِ الدَّائمِ والْمستمرِّ عنِ الطَّعامِ الذى سيتناولُه على الْغَداءِ ، أَو الْفاكهةِ التى سيشْتريها الْيومَ . حتى إنَّ الْعملَ الذى كان يمارسُه تركَه وبقِىَ بلا عملٍ مُعْتمدًا على هذا الرجلِ الْمسكينِ فى كُلِّ شىءٍ ، هذا بالإضافةِ إلى كَسلِه وتقاعُسِه عنْ خدْمةِ نفْسِه ، بلْ إنه كانَ يُثْقِلُ على منْ حوْلَه بمطالبِه التى لا تنْتهى .

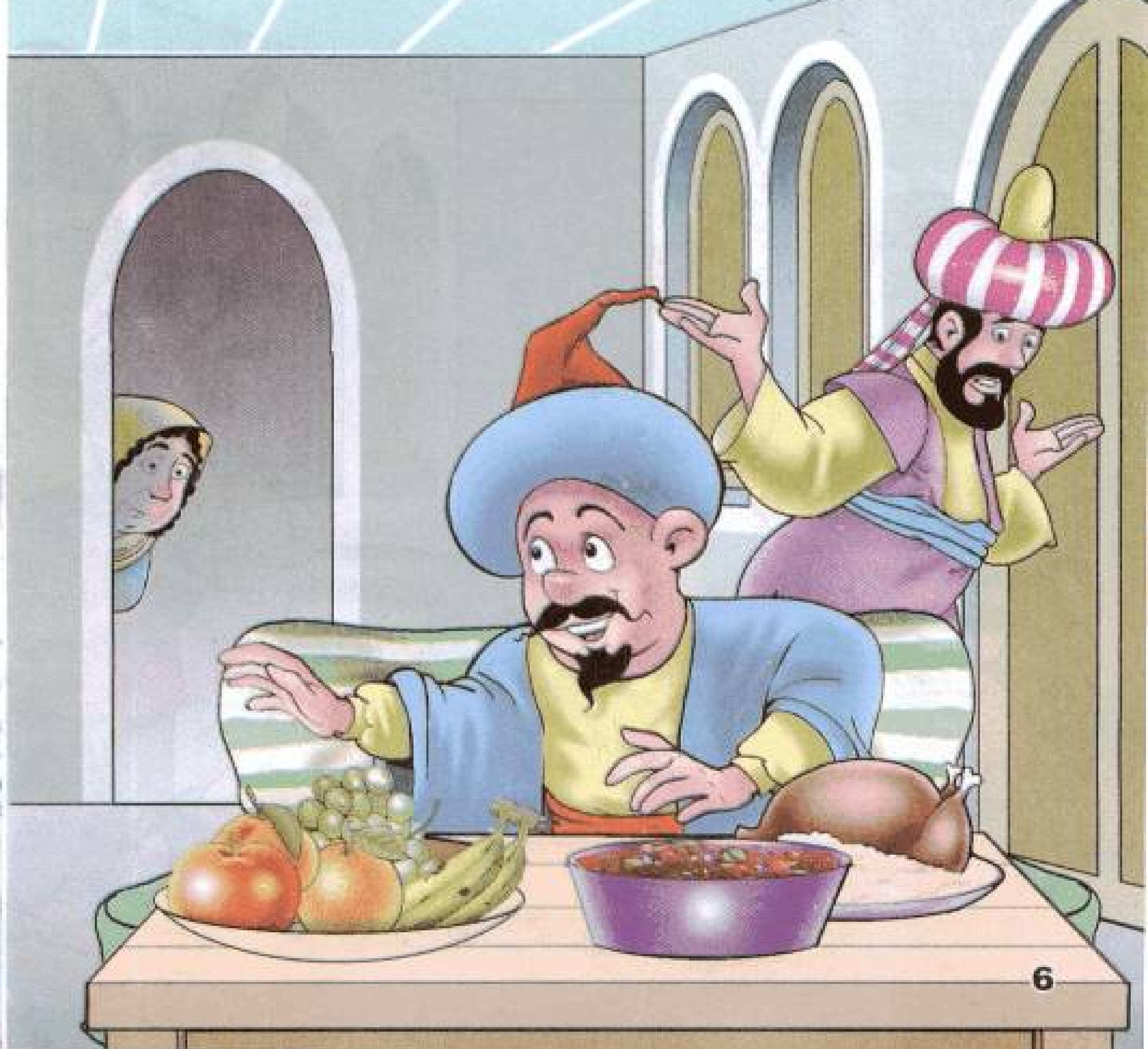

مرَّ الشَّهرُ على الرجلِ كأنَّهُ دهرٌ ، وشعَرَ بالاختناقِ هو وزوجتُه وأوْلادُه ، لمْ يعُدْ يعرِفُ طعْمًا للرَّاحةِ ، وانقلبتْ حياتُه رأسًا على عقَبٍ بسببِ دعوتِه المجْنونَةِ لهذا الطُّفيليِّ الْعجيبِ ، ولَمْ يكُنْ شُعورُ المْرأةِ بالحْنَقِ على ذلكَ الطُّفيلىِّ بأقَلَّ منْ شُعورِ زوجِها المْسكينِ ، فسألَتْه فى ألمٍ :

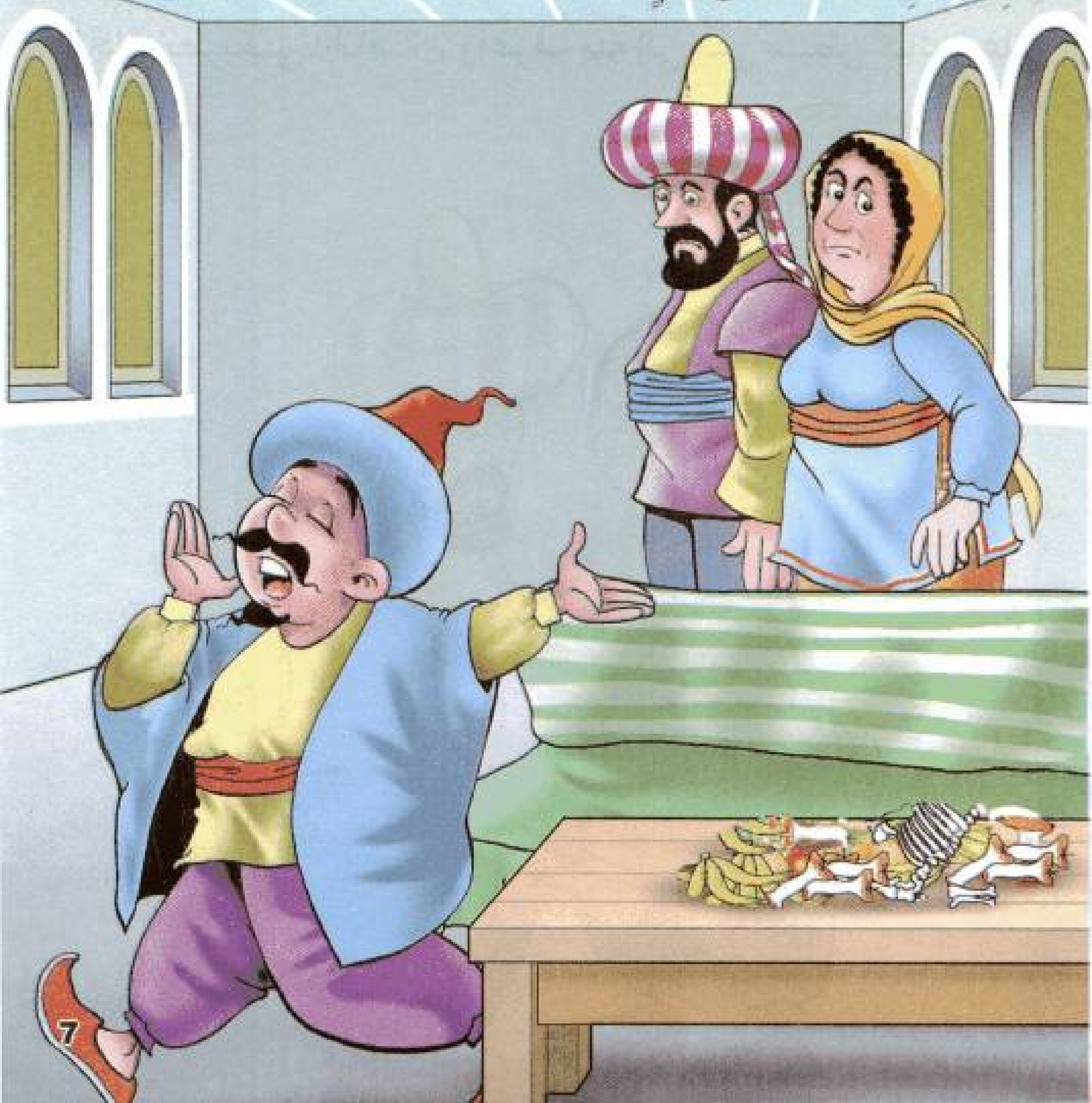

-إلى متى سيظَلُّ هذا الطُّفَيلىُّ عِنْدنا ؟ إننى أكادُ أموتُ غمًّا . .

-إنه كابوسٌ ثَقيلٌ لا أَعْرفُ متى سينْتَهى !

-عِنْدى فكْرَةٌ يمكِنُ أَنْ نخْتبرَهُ بها ، فنعْرِفَ كمْ سيبْقَى مُقيمًا معنا . .

-إليَّ بها أرْجوك .

قالت الزَّوْجةُ:

-نحنُ سنصْطَنعُ شجارًا ونتحاكَمُ إليْه ، وسوْفَ أَسْتَدرجه أنا فى الْكلامِ بطَريقَتى الخَاصَّةِ ، وأَعْرِفُ منْهُ إلى متى سَيظَلُّ كاتمًا على أَنْفاسِنا . .

تظاهَرَ الزَّوْجانِ بالشِّجارِ، وذَهبا إلى أَشْعبَ وهو مُتَّكئٌ على أَريكَتهِ ، وقصَّتْ الزَّوجَةُ على أَشْعبَ سببَ شِجارِها مع زوجِها ، ثم سأَلْته في خُبْثٍ وهي تبْكي :

-إنِّي أَسأَلُكَ بالله الذي سوفَ يرْعاكَ ويباركُ لك في سَفَرِك غَداً ، أَيُّنا الظَّالمُ وأَيَّنا الْمَظْلومُ ؟

لكنَّ أَشْعبَ ردَّ في برُودٍ ولا مُبالاةٍ قائلاً :

باللّه الذي سوْفَ يُباركُ لي في مُقامي عندكُمْ شَهْراً أَو أَكْثر ، لا أَدْرِي مَنْ منْكُما الْمخْطئُ .

ثم أضافَ قائلاً :

ـ كَيْفَ تتَشاجَرَانِ في وُجُودِى ، وما بَالُكُما لوْ سافَرْتُ وتركْتُكُما ؟ لذلِكَ سَوفَ أبْقَى لكى أُصْلِحَ بَيْنَكُما كُلَّما تشاجَرْتُما .

كانَ جوابُ أشْعبَ كالصَّاعقَةِ التى هبَطَتْ من السَّماءِ على رأسِ الزَّوْجَيْنِ ، لكنَّهما كَظَمَا غَيْظَهُما وانسَحَبا فى هُدُوءٍ وصَمتٍ ، بعدَ أَنْ تأكَّدا أنَّ هذا الطُّفَيْلِىَّ لا ينْوِى مُغادرَةَ البَيْتِ.

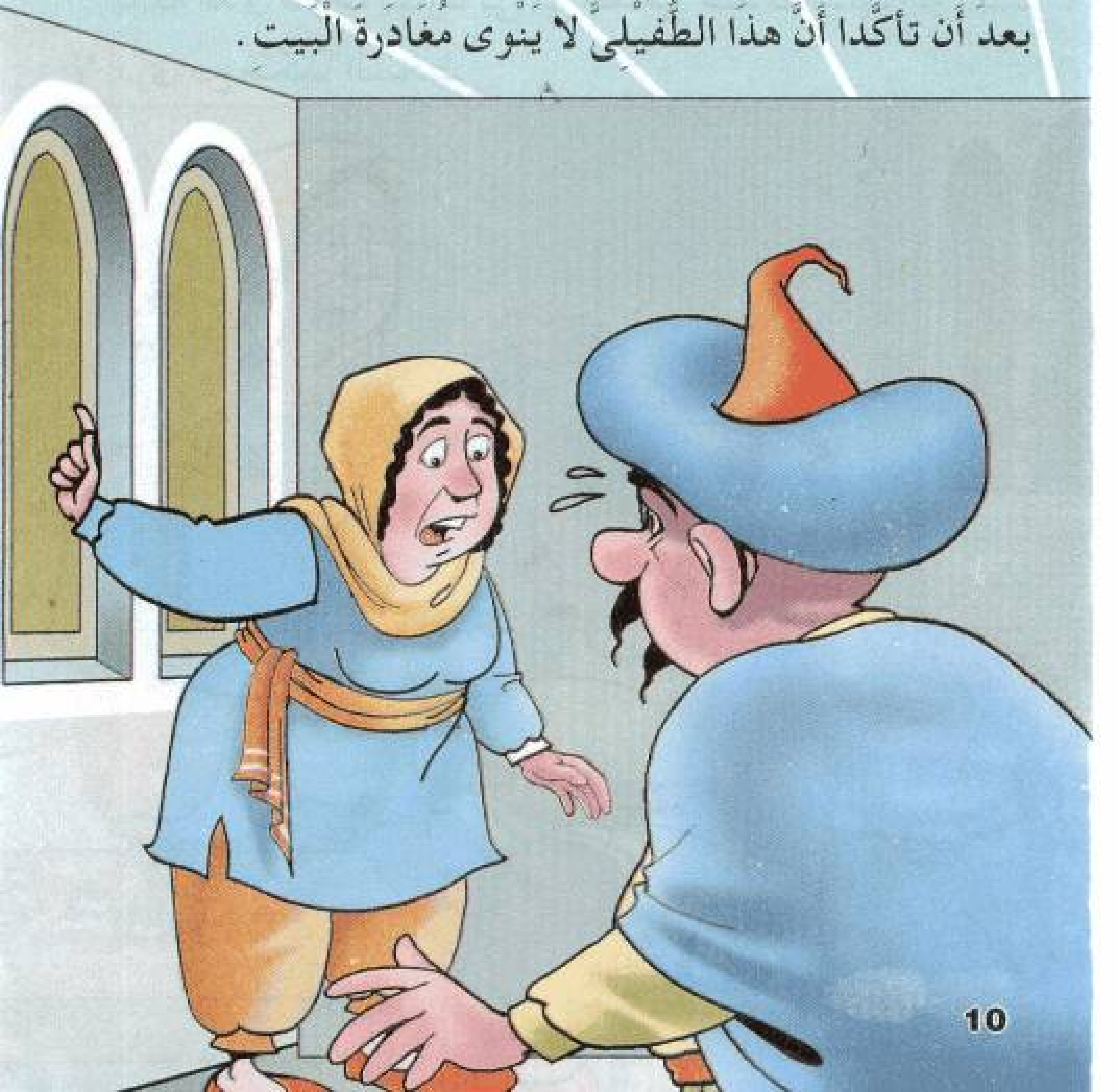

قالَ الرجلُ لزَوْجَتَه :

ـ لقَد جاءتنى فِكْرَةٌ أَفْضَلُ مِنْ فِكرتكِ سَوْفَ تُخلِّصنا مِنْ الطُّفيليِّ للأبدِ .

وفى لهفة قالت الزوجة :

ـ أَخْبِرْنى بها ، فلَمْ يعُدْ فى وُسْعى تَحَمُّلُ رؤْيَةِ هذا الرجلِ الْبغيضِ .

فأَجابَ الزوْجُ :

ـ غداً سوفَ أُغْرِيه بأَنْ يُسابقَنى فى الْقَفْزِ ، فأَقْفزُ أَنا منَ الْعتبَةِ إلى خارجِ المنزلِ ، فإذا قفَزَ هو فأَغْلقى الْبابَ خلْفَهُ ولا تَفْتحيهِ أَبَداً .

ابْتَسمتِ الزوْجَةُ وقالتْ ، والْبهجةُ باديةٌ على وجْهها :

ـ يا لها مِنْ فكْرةٍ عبْقرِيَّةٍ ، وإنَّ غداً لِناظِرِه قريبٌ .

وفى الْغَدِ، جلسَ الرجُلُ مع أَشْعَبَ وراحَ يتجـاذَبُ معَهُ أطْرافَ الْحديثِ ، ويتحاوَرُ معه فى شتَّى الْمَوْضوعاتِ ، إلى أَنْ قالَ:

ـ هل جربْتَ الْقَفْزَ ؟

فأَجابَ :

ـ نعَمْ ، فكَمْ قفَزْتُ إلى داخلِ الْـمَنازِلِ فى حَفَلاتِ الْعُرْسِ والْمَوائِدِ .

فقالَ الرجلُ :

ـ فما هِيَ الْمَـسافَةُ التى تتوقَّعُ أَنْ تصِلَ إلَيْها فى الْقَفْزِ ؟

فأجابَ أشْعبُ :

ـ لا أَدرى بالضَّبط ، ولكنّى أَتوقَّعُ أَنْ أَصِلَ إِلى مسَافةٍ كَبيرةٍ .

ابْتسَمَ الرجلُ وقالَ فى جِدّيَّةٍ :

ـ فما رأْيُكَ لوْ تُسَابِقُنى فى الْقَفْزِ ، على أَنْ يَحْصُلَ الْفائِزُ على وجْبةٍ دَسِمةٍ كَجائزَةٍ ؟

وَلَمْ يَكَدْ أَشْعَبُ يَسْمَعُ «وَجْبَةً دَسِمَةً» حَتَّى سَالَ لُعَابُهُ ، وَهَزَّ رَأْسَهُ مُوَافِقًا وَقَالَ:

- هَيَّا ابْدَأْ أَنْتَ ، وَأَنَا سَأُحَاوِلُ بَعْدَكَ.

نَهَضَ الرَّجُلُ مِنْ مَقَامِهِ، وَوَقَفَ عَلَى عَتَبَةِ الْبَابِ ، وَقَفَزَ قَفْزَةً طَوِيلَةً بَلَغَتْ أَرْبَعَ أَذْرُعٍ ، ثُمَّ أَشَارَ إِلَى أَشْعَبَ لِكَيْ يَقُومَ بِقَفْزَتِهِ ، فَقَالَ وَهُوَ يُحَمِّسُهُ :

- الآنَ جَاءَ دَوْرُكَ يَا أَشْعَبُ ، وَلِكَيْ تَفُوزَ عَلَيْكَ أَنْ تَقْفِزَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِ أَذْرُعٍ .

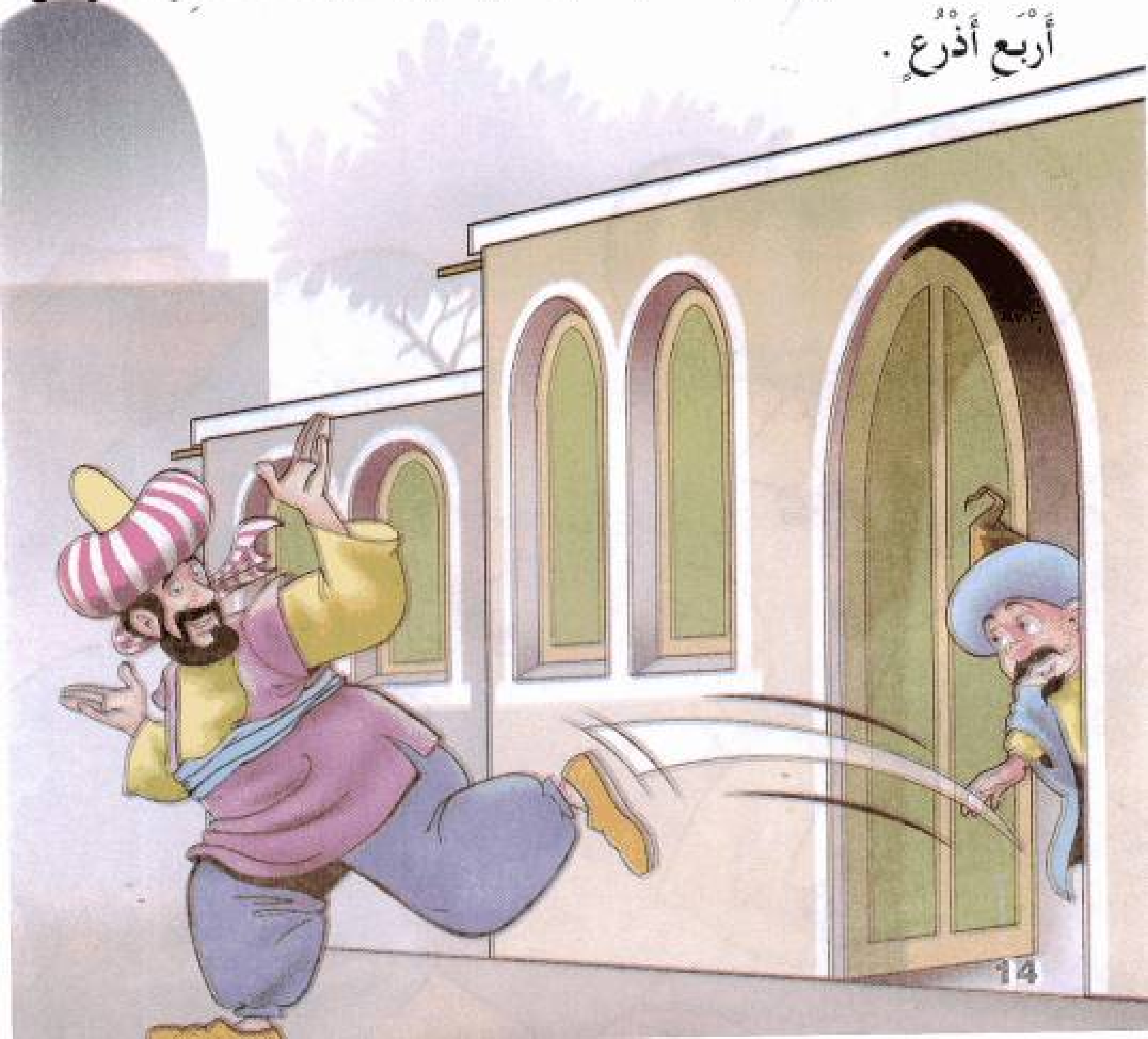

قَامَ أَشْعَبُ مُتَبَاطِئًا ، وَالرَّجُلُ يَرْقُبُهُ بِعَيْنَيْنِ شَاخِصَتَيْنِ ، وَوَقَفَ عَلَى عَتَبَةِ الدَّارِ ، وَلَكِنَّهُ اسْتَدَارَ وَجَعَلَ وَجْهَهُ دَاخِلَ الْمَنْزِلِ وَقَفَزَ قَفْزَةً لَمْ تَزِدْ عَلَى ذِرَاعَيْنِ اثْنَتَيْنِ .

تَعَجَّبَ الرَّجُلُ وَأَحَسَّ بِالدُّوَارِ وَقَالَ فِي حُزْنٍ :

ـ عَجَبًا لَكَ يَا أَشْعَبُ ! لَقَدْ قَفَزْتُ أَنَا إِلَى خَارِجِ الْمَنْزِلِ أَرْبَعَ أَذْرُعٍ بَيْنَمَا لَمْ تَزِدْ قَفْزَتُكَ عَلَى ذِرَاعَيْنِ إِلَى الدَّاخِلِ ، كَانَ الأَحْرَى بِكَ أَنْ تَقْفِزَ إِلَى الخَارِجِ فَالْمَكَانُ يَتَّسِعُ لِذَلِكَ .

لكنَّ أشْعَبَ قالَ في خُبْث :

- إنَّ ذِراعَينِ إلى الدَّاخِلِ أَفْضَلُ من أَرْبعِ أَذْرُعٍ إلى الخارجِ ! أَلَيْس كذلكَ ؟ !

سمعَ الرجُلُ ذلكَ فكَادَ يُغْمَى عليْـه ، بيْنمـا رأَت الزَوْجَةُ ما حدثَ فأُصيبتْ بصَدْمَةٍ ، على حين جلَس أَشْعبُ على أَريكَتِه ، وراحَ يدَنْدنُ بِصَوْتٍ مسموعٍ ومزعجٍ .

(تمَّت)

رقم الإيداع : ١٧١٧٨ / ٢٠٠٢
الترقيم الدولي : ٩٧٧ـ٢٦٦ـ٨١٤ـ٩